مجلة (لغة – كلام) تصدرعن مخبراللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 03- جوان (2024)

تاريخ الاستلام: 2024/06/02 تاريخ القبول: 2024/06/22 تاريخ النشر: 2024/06/30

الوعي السّياسي في شعر أحمد مطر

✍ عليان جميلة [1]
djamila.aliane.etu@univ-mosta.dz
مخبرالدراسات اللغوية و الأدبية في الجزائر
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم /الجزائر

✍ حاج علي عبد القادر [2]
abdelkader.hadjali@univ-mosta.dz
مخبرالدراسات اللغوية و الأدبية في الجزائر
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم /الجزائر

The political awareness in Ahmed Matar's poetry

✍ aliane djamila
djamila.aliane.etu@univ-mosta.dz
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem / Algeria

✍ hadjali abdelkader
abdelkader.hadjali@univ-mosta.dz
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem/ Algeria

[1] المؤلف المرسل: عليان جميلة

ملخص البحث

عرف "أحمد مطر" بشعره السّياسي الجريء و أسلوبه السّاخر المتهكّم، في مجابهة الحكام، معلنا رفضه للو اقع العربي المتردّي. تهدف هذه الدّراسة الموسومة بـ: "الوعي السّياسي في شعر "أحمد مطر" إلى تسليط الضّوء على قصائد شعريّة سياسيّة للشّاعر العراقي "أحمد مطر"، و دراسة نتاجه الشّعري، و تحليل مضامينه، و تبيان الأساليب الموظّفة و أثرها، وفق المنهج الوصفي التّحليلي، و بالاعتماد على ما ورد من أحداث و ربطها بشخصيّة الشّاعر و مراميه للوصول إلى أهم الأهداف، و تنطلق الدّراسة من عدة تساؤلات كالآتي: كيف تمظهر الوعي السّياسي في شعر "أحمد مطر"؟ ما هي المضامين التي جسّدتها هذه القصائد؟ ما هي الأساليب و التّقنيات الموظفة؟ و هل كان للكلمة دور في دفع القضايا العربيّة؟

الكلمات المفتاحية: الوعي، السّياسي، الشعر، العراقي، أحمد مطر.

ABSTRACT:

Ahmed Mater was knower by his political bold poetry and his sarcastic style, in confrontating the governors, declaring his rejection to the deteriorating Arab reality. This studding titled by: "the political awareness in Ahmed Matar's poetry " aims to highlight on the political poems of the iraquien poet Ahmed Matar's, And study his poetic production, and analysing his contents, and showing the styles that he use and her effection, according to the descriptive analytical approach which based on the events mentioned and linking it to the personality of the poet in order to reach the most important goals that, the study starts from several questions as follows: how does the political awareness appear in Ahmed Matar's poetry? what is the contents embodied in these poems? What was the styles and the technics that he used? And did the word play a role in pushing the Arab issues?

Key words : awareness, political, poetry, iraqi, Ahmed Matar.

1.مقدمة:

الشّعر أحد الاستراتيجيات التي استعان بها الأديب العربي "أحمد مطر" لمواجهة الهيمنة و المركزيّة، سعى من خلاله إلى تعديل ما تم فرضه من عنف ابستيمولوجي ضد تاريخه و هويته، فهو من أبرز الشّعراء السّياسيين و شعراء المقاومة، و في هذا الصدد جاء موضوع دراستنا موسوم بـ: "الوعي السّياسي في شعر أحمد مطر" الذي يتمحور حول الوعي البالغ لأحمد مطر بقضايا و هموم أمته من خلال شعره السّياسي الجريء، فكانت قصائده السّياسية و أسلوبه السّاخر الممزوج بالألم سلاحا لمواجهة ساسة جائرين و دحرهم، و صرخة حادّة معبّرة عن الرفض للوضع السائد و مواجهة الظلم، و رغم تعرضه لملحمة من الألم إلا أنّه ظل رافعا التّحدي في الدّفاع عن وطنه و عن شعبه الراضخ لسلطة جائرة، برز في أشعاره مضمون الدّفاع عن الحقّ و استرداد الحريّة و إحقاق العدل كأوّل المضامين التي سعى لتحقيقها. تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الوعي السياسي لأحمد مطر في شعره و ذلك من خلال تسليط الضوء على قصائد شعريّة سياسيّة لهذا الشّاعر العراقي، و تحليل المضامين التي تناولتها و تمحورت حولها، و إبراز الأساليب و التّقنيات التي استعان بها الشّاعر في بناء نصوصه الشّعرية السّياسية، و أثرها في إيقاظ وعي المواطنين في مواجهة الاستبداد، و إبراز دور الكلمة في دفع القضايا العربيّة و توعية الجماهير، و فضح أساليب القمع المقترفة في حقّ الشّعوب العربيّة المستضعفة، و هذا ما تؤكّده النّماذج الشّعرية المختلفة التي سنميط اللّثام عنها في هذه الدّراسة، محاولين الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف تجلى الوعي السّياسي في شعر "أحمد مطر"؟ ما هي أهم القضايا و المضامين التي تناولتها هذه القصائد الشّعرية و تمحورت حولها؟ و هل عبّر الشّاعر من خلال أشعاره عن مآسي شعبه و طموحاته؟ و هل يمكن اعتبار شعره المقاوم أداة من أدوات الرد بالكتابة و سلاحا لمجابهة المستبدين؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة سنعتمد في دراستنا المنهج الوصفي التّحليلي في عرض القضايا و الأساليب الموظفة و تحليل المضامين التي جسدتها هذه القصائد الشعرية، و ربطها بمرامي الشاعر للوصول إلى أهم الأبعاد التي تسعى الكلمة لتحقيقها، ومراعاة لطبيعة الموضوع، ارتأينا أن تكون الدراسة قائمة على المباحث الآتي بيانها.

2. السّخرية من السّلطة

1.2 الكلام الضمني و السياق السياسي:

برع "أحمد مطر" في هجائه للسّياسة و الحكام العرب بأسلوب سخرية مبديا نقده للأوضاع الراهنة التي يعيشها وطنه العراق و الأمة العربيّة، رغم المضايقات التي تعرض لها، "يتشكل شعر أحمد مطر من تيمة أساسيّة مع استثناءات قليلة و هي نقد الواقع السّياسي العربي المتخلف و السخرية المرة من سطوة حكامه...، و لعل اسم أحمد مطر سيكون الأكثر سطوعا من بين أسماء الشّعراء العرب عند السؤال عن

الشّاعر السّياسي العربيالأول"[1]، و السّخرية السّياسية هي وليدة الأوضاع السّياسية التّعسفيّة التي انتشرت في المجتمع بسبب جور الحكام لذلك عرّف "الشعر السياسي بأنّه ذلك الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدول"[2]، و نلاحظ استثماره لكفاءته التّداولية

عند إنتاج خطابه باستعمال الاستراتيجية التلميحية، مدركا أنّ "هناك طرقا عديدة لتقول شيئا ما و أنت تعني به شيئا آخر"[3]، فنصوصه الشّعرية مرتبطة بقضايا سياسيّة تعكس توجهه الإيديولوجي، و بالرجوع إلى ديوانه نجد الكثير من القصائد التي يفضح فيها سياسة الحكام الظالمة و نظامهم الدكتاتوري، مثل: "مفقودات، فبأي آلاء الشعوب تكذبان،..." التي تصوّر القهر الذي يعيشه المواطن، ففي قصيدته "صندوق العجائب" يشير إلى الحاكم الجائر، يقول:

أخرجتُ كرسيًّا مُوَشّى بالذَّهَبْ

قامتْ عليهِ دُميةٌ من الخشبْ

في يدِها سيفُ قَصَبْ

خَفضتُ رأسَ دُميتي

رَفعتُ رأسَ دُميتي

خلَعتُها

نَصَبتُها[4]

ألغى "أحمد مطر" الحدود الجغرافية الموجودة بين العراق و البلدان العربيّة، لأنّ "الأديب الحقيقي في معارك النّضال لا يستطيع أن يقف على الهامش، بل أنّ من واجبه أن يحدوا القافلة و يدفع الركب و يغذّي طاقة الكفاح في نفوس المواطنين،... و أن يكرّس قلمه لبث روح الكفاح و تغذية النّضال"[5]، كما نوّه إلى العمى السّياسي للحكام العرب بأسلوب ساخر، فشبههم بالدمى الخشبيّة، يتحكم فيهم الأجانب ينصبون من يشاؤون و يخلعون من يشاؤون، يجلسونهم على كرسي من ذهب متى رأوا الوقت مناسبا، و بالكيفية التي تخدمهم، و ينزعونهم متى رأوا أنّه لابد من ذلك، و هم لا رأي له؛ وظّف الشّاعر الأفعال المتضادة (خفضت، رفعت، نصبت، خلعت) الدالة على التضارب الحاصل في المجتمع، و أشار إلى التناقض بين الخشب و الذّهب، فشتّان بين الخشب و الذهب أي الشخص غير المناسب في المكان المناسب.

لقد بلغ "أحمد مطر" من الوعي السّياسي الكثير، فسعى من خلال كتاباته إلى كشف المستور عن الويلات التي عاشها الشّعب و اكتوى بنارها جراء سياسة الحكام الفاسدة، يقول في قصيدة "البيان الأول":

قَلَمي وَسْطَ دُواةِ الحبرِ غاصْ

و يقول:

قَلمي في لجُّةِ الحبرِ اختنَقْ

وَطَفتْ جُثَّتُهُ هامدةً فوقَ الورقْ
روحُهُ في زَبَدِ الأحرفِ ضاعتْ في المدى
و دَمي في دَمِهِ ضاعَ سُدى
و مضى العمرُ و لم يأتِ الخلاصْ
آهِ يا عصرَ القصاصْ
بَلْطَةُ الجزّارِ لا يذبحُها قطرُ الندى
لا مَناصْ
آنَ لي أن أترُكَ الحِبرَ
و أنْ أكتُبَ شعري بالرصاصْ![6]

بأسلوب سخرية لاذع يصوّر الشّاعر سياسة الحكام المتهوّرة حيث جعل الحاكم جزّارا استخفافا به و استهزاء، و دلالة على قسوته و نحره لأمته بكل ظلم تماما مثل الجزّار في ذبحه و تقطيعه للأضحية فلا يعرف الرحمة بل يفعل ذلك بكل فرح و قوة مستعجلا القضاء عليها، ففي قوله (قلمي وسط دواة الحبر غاص، اختنق) شبه القلم بالإنسان الذي يغوص في البحر حتى يختنق، هنا إيحاء لحالة الشاعر النفسية المتأزمة، أما قوله (و مضى العمر و لم يأت الخلاص) دلالة على كثرة الكتابة، فقد أفنى الشاعر عمره في استخدام قلمه حتى أصبح جثة هامدة، و نفذت روحه (حبره) كأداة لمقاومة الأوضاع المأساوية و لكن لا جدوى، أي أنّ قلمه لم يعد مفيدا، فلا أمل من الحوار في تحقيق العدل بل لابد من الكفاح المسلّح.

2.2 السّخرية بأسلوب تهكم يقوم على المفارقة:

يسخر الشّاعر من أساليب السّلطة التّعسفيّة " و الذي يجذب القارئ في شخصيته و شعره، هو الصّدق الفنّي و الوضوح، و الأسلوب السّاخر الذي يقوم على المفارقة التّصويرية"[7]، يقول في قصيدة "المتكتّم":

ألقيتَ خطابًا في النّادي،
و تَلَوْتَ قصائِدَ في المقهى،
و نَقَدتَ السُّلطةَ في المطعمْ
هل تَحسَبُ أنَّا لا نَعلمْ؟!
حاوَرتَ مُذيعًا غَربيًّا
و يقول:
افعلْ ما تَهوى.. لجهَنَّمْ
شُنِقَ الأبكَمْ![8]

في هذه القصيدة يسخر الشّاعر بأسلوب تهكمي يقوم على المفارقة بين شيئين لا يلتقيان، فالخطاب و تلاوة القصائد و نقد السّلطة الغبيّة و محاورة مذيع غربي لا يمكن أن يصدر من الأبكم الذي شنق، فهو يسخر بطريقة لاذعة من الاتهامات التي وجّهت لهذا الشخص الذي لا ينطق، و هي سخرية تدعو إلى الضّحك و لكنّها هادفة توعوية حيث تكشف غباء الحكام و تنبّه القارئ إلى أخذ الحيطة و الحذر من هذه السّلطة الجائرة.

3. تمرد "أحمد مطر" على سياسة الحكام الاستبدادية ورفضه لو اقع الأمة

1.3 الرفض و التمرد:

كرّس"أحمد مطر" قلمه لقضايا و هموم وطنه رافضا متمردا على الأوضاع المأساويّة التي آل إليها شعبه، راغبا في إصلاح الفساد المتفشي في المجتمع لأنّ " الأدب السّياسي هو ذلك الأدب القادر على إحداث التغيير؛ فهو يحكي واقع الناس و المجتمع، و يستنكر الإقصاء و الظلم و التهميش. إنّه يطوّع اللغة في خدمة القضيّة فيحرّك مشاعر الجماهير و ينقلها إلى حيز الوجود عبر ردود أفعالها... و هذا ما يجعل علاقة الأديب السياسي بالسّلطة علاقة متوترة و مشحونة"[9]، مؤمنا بأنّ الشّعر ثورة، بل هو في نظر الكثيرين "فعل ثوري من الطراز الأول، و هو الضّمان الأدبي لاستمرار فعل الرفض الثّوري و اطّراده، فإذا كانت الثورة محدودة الهدف، ثم أتيح لها أن تحقّق هذا الهدف، فإنّها سرعان ما تفقد جوهرها الثّوري الرافض و تقع في خطيئة السّكون المميت، عند ذاك يظلّ الأمل معلّقا بالشعر في أن يعيد إليها الحركة أو لنقل يعيد إليها جوهرها"[10]، راغبا في واقع يسوده العدل و الحرية، يقول في قصيدة "هات العدل":

أَوْجِزْ لي مَضمونَ العدْلِ
و لا تَفلِقْني بالعُنوانْ
و يقول:
لا تَعدلُ ميزانِ العدْلِ
و لا تَمنحُني الاطمئنانْ
و يقول:
لا أسألُ عن شكْلِ السُّلطةِ
أسألُ عن عَدْلِ السُّلطانْ[11]

يتّضح من خلال القصيدة رفض الشّاعر لظلم الحكام حيث يطلب منهم بأسلوب الأمر (العدل) يقول: "هات العدل"، هذا الأخير الذي طال انتظاره من طرف الشّعوب المقهورة، كما استخدم أسلوب النهي لكشف سياسة الحكام العبثية، و دلالة على تمسّكه بموقفه، فهو لا يهاب تهديداتهم المتكرّرة، معلنا عزمه على مواصلة النّضال و الصّراع بالقلم مهما طال، كاشفا بأنّ وعود الحكام كلها خداع، آمرا إياهم

بتقوى الله، و التّخلي عن سياسة التّلاعب و الخداع و الوعود الكاذبة، فهم لم يطبقوا ما أمرتهم به الأديان التي كرمت الإنسان، و لا يسألهم عن منازلهم بقدر ما يسألهم عن عدلهم و إنصافهم.

2.3 الظلم و القمع:

من أبرز القضايا التي طرحها "أحمد مطر" في أعماله الفنّية الظلم و القمع، صوّر بأسلوب ساخر أبشع أشكال الظلم و القمع التي مارسها المحقّقون مع المشتبه بهم، من خلال قصيدة "يحيا العدل"؛ إذ يقول:

حَبَسوهْ
قبلَ أن يتّهموهْ !
عَذّبوهْ
قبل أن يستجوبوهْ !
أطفأوا سيجارةً في مُقلتَيهْ
عرضوا بعضَ التصاويرِ علَيهْ:
قُلْ .. لِمَنْ هذه الوجوهْ؟
قال: لا أُبْصِرُ
.. قَصّوا شفتيهْ !
طلبوا منهُ اعترافًا
حولَ مَنْ قد جنّدوهْ
لم يَقُلْ شيئًا
و لمّا عَجِزوا أن يُنطقوهْ
شنقوهْ !
* * *
بَعْدَ شهرٍ ... برّأوهْ !
أدركوا أنَّ الفتى
ليس هو المطلوب أصلًا
بل أخوهْ
و مَضَوا نحو الأخ الثاني
و لكنْ .. وَجَدوهْ
مَيّتًا من شدّةِ الحزنِ
فلَمْ يعتقلوهْ![12]

وظّف الشاعر في هذه القصيدة تقنيات السّرد القصصي، مستعملا في ذلك أسلوبا مشوّقا يخلق أفق انتظار للمتلقي، ففي المقطع الأوّل من القصيدة صوّر لنا الشّاعر اعتقال المشتبه به و طريقة التّعذيب القاسية التي مارسها هؤلاء الجبابرة (حبسوه، عذبوه، قصّوا شفتيه) و بعد فشل كل مشاهد التّعذيب في استنطاقه شنقوه دون شفقة و في الأخير اكتشفوا أنّه ليس هو المطلوب، فرسم لنا صور الظلم من طرف جبناء، لا يستعملون الطريقة المتعارف عليها في التحقيق بل يخضعون المتهم مباشرة لأشدّ أنواع العذاب، ليكتشفوا في الأخير بأنّه ليس المطلوب، و في المقطع الثاني نلاحظ امتداد القصّة و انتقال الشاعر إلى شخصيّة أخرى و هي أخو المتّهم، و عند الانصراف للبحث عنه و اعتقاله وجدوه ميّتا من شدّة الحزن.

3.3 الفقر و الجهل:

أولا: الفقر:

تعاني الدول العربية الفقر و الحرمان، بسبب السياسة الظالمة، يقول الشاعر في قصيدة "مكسب شعبي":

نُطعِمُ جوعَ نارِها
لكنّنا نجوعْ !
و نحملُ البَرْدَ على جُلودِنا
و نحملُ الضلوعْ
و نستضيءُ في الدجى
بالبدرِ و الشموعْ
كيْ نقرأَ القرآنَ
و يقول:
و صاحبِ الجلالةِ الأكيدهْ
قلتُ لهُ:
شعبُكَ يا سيَّدَنا
صارَ (على الحديدهْ)[13]

يصف لنا الشّاعر في هذه القصيدة ما تعانيه الشّعوب المضطهدة رغم خيراتها التي تتمتع بها الدول الغربية، و الشّعب العربي يموت جوعا و فقرا، و يتحمّل لفحات البرد القارص، و الظلام الدامس، فيستضيء بالبدر و الشموع، ملجؤه الوحيد هو الله "نقرأ القرآن"، فالقرآن رمز للطّهر لا يلمسه إلا المطهّرون و بالتالي فالطّهر يتجلى في "الشعب المستضعف" و الرّجس في الحاكم، و يتكلّم الشّاعر بضمير جمعي "نا" (جلودنا)؛ للدلالة على الألم المشترك، و لإثبات الانتماء و الهويّة، و نلاحظ بأنّ الشّاعر يشكي

مشاكل شعبه لصاحب الجلالة قائلا: (شعبك يا سيّدنا) للفت انتباهه لمعاناة شعبه لدرجة أنّه صار على الحديدة، كرّر لفظة "حديدة" دلالة على الجمود، و الشّعب المظلوم يتعرّض لما تتعرض له هذه الأخيرة حيث يصاب بالصّدأ ثم يتآكل تدريجيا متأثرا بالأوضاع المستميتة التي يعيشها حتى يزول و ينتهي، و من خلال معاني القصيدة نلاحظ استناد الشّاعر لأوّل مبدأ من مبادئ جرايس "Grise"الأربعة لتحقيق التّواصل الخطابي و هو مبدأ الكمية المتمثّل في: "إعطاء المخاطب للمتلقي القدر اللازم من المعلومات ليتحقق الخطاب، و يجب عليه أن يكون أكثر إخبارا، و هذا ما يدعى بقانون الإخبار"[14]، أي أنّ الشّاعر في هذه القصيدة قدّم القدر المطلوب من المعلومات فكان كلامه موجز مؤثر، يوصلك إلى بيت القصيد مباشرة، كاشفا الواقع السيء، معبّرا عن غضبه تجاه السّلطة الجائرة، بشعره الهادف، و هذا ما نلمسه في هذا المقطع إذ تكرّرت كلمة "النار" مرتين للدلالة على نار الصّراع، فهي نار الغضب و الثّورة على الحاكم الظالم، و يعود توظيف الكلمة إلى الدّافع القويّ الكامن في لا وعي الشّاعر.

ثانيا: الجهل:

التّجهيل بأشكاله هي سياسة انتهجت رغبة في الاستعباد، حيث يقول الشّاعر في قصيدة "مجلس":

القاعةُ المعتادهْ
غارقةٌ في الصمتِ،
و البهائمُ المنقادهْ
تجلسُ في دَائرةٍ،
و صاحب السيادهْ
يَدورُ يحملُ العَصا لمن عَصَى[15]

يوضّح الشّاعر هنا بأنّ قاعات التّدريس مازالت كالعادة لا تغيير، و المتمدرسين فيها بهائم منقادة لا معارضة لهم، أما الدّروس المقدمة فهي طاعة الأوامر و النواهي الصادرة من الحاكم و تمجيد خطاباته، و يسخر منهم بقوله: (و صاحب السيادة يدور يحمل العصا لمن عصى) أي تأييد كل ما يصدر من الحكام دون الإدلاء بآرائهم و طرح مشكلات شعوبهم، و يصفهم الشاعر بقوله: (بهائم تغفو بلا إرادة)، أي أنّهم مجرد حيوانات منقادة و مشاركتهم في مجالس العالم بلا إرادة، و حضورهم يساوي غيابهم.

4.3 الوطن و الحرية:

أولا: الوطن:

نذر "احمد مطر" قلمه للدفاع عن وطنه، فجعل الوطن أمه و أباه، إذ يقول في قصيدة "يسقط الوطن":

(أبي الوَطَنْ)
(أُمّي الوَطَنْ)

(رائِدُنا حُبُّ الوَطَنْ)

(نَموتُ كَيْ يحيا الوَطَنْ)

و يقول:

من وطنٍ يُؤْويهِ في هذا الوَطَنْ

أيُّ وَطَنْ؟

الوَطَنُ المنفِيُّ..[16]

عبّر الشّاعر من خلال هذه القصيدة عن حبّه لوطنه، فسخّر روحه و دمه له، رافضا بذلك العبوديّة "إنّ الأدب الذي لا يعبّر عن أشواق الشّعوب و تطلعاتها نحو الانعتاق من ربق العبودية و نير الاستعمار و التبعية، هو الأدب الذي لا يتّصل بواقع الناس و مشاكل الحياة، و الأدب الذي يُكتب و يقال فقط للتّرف، لهو أدب محنّط غير جدير بالذكر"[17]، ناعتا إياه بالوطن المنفي لأنّه فقد هويته في ظل السّلطة الجائرة، كما أشار إلى أن الوطن أشكال و أنواع، و هو يبحث عن وطن يتّسم بالاستقرار لأنّ الوطن الذي يقطنه مليء بالمآسي. و نلاحظ تكرار كلمة "الوطن"، للفت انتباه القارئ و تركيز اهتمامه إلى الشّيء المكرّر، هذا التّكرار جاء نتيجة الحالة الشّعورية للشّاعر، لخلق إيقاعات موسيقيّة "فالتّكرار يسلّط الضّوء على نقطة حساسة في العبارة و يكشف عن اهتمام المتكلم بها، و هو، بهذا المعنى، ذو دلالة نفسية قيّمة تفيد النّاقد الأدبي الذي يدرس و يحلّل نفسية كاتبه"[18]؛ جاءت القصيدة عالية النّبرة مع إلحاح الشّاعر على تكرار حرف النون، هو صوت مجهور بين الرّخاوة و الشّدة يحاول من خلاله أن يجهر بصوته، معبّرا عن إحساس متصاعد الألم، و رغبة في نهاية الحياة المظلمة و بداية الحياة المضيئة.

ثانيا: الحرية:

نادى "أحمد مطر" في شعره بمبدأ أساسي و هو: الحريّة، يقول في قصيدة "دمعة على جثمان الحرية":

أنا لا أكتُبُ الأشعارَ

فالأشعارُ تكتُبني

أريدُ الصَّمْتَ كَيْ أَحيا

و لكنَّ الذي ألقاهُ يُنطِقُني

و لا أَلقى سوى حُزنِ

و يقول:

و حتّى الحرفُ يرسِفُ بالعبوديّهْ؟

لقد شَيّعتُ فاتنةً

تُسمّى في بلادِ العُربِ تَخريبًا

و إرهابًا

وَ طَعنًا في القوانين الإلهيّهْ

و يقول:

لكنَّ اسمهَا في الأصلِ

..حُريّه ![19]

يدلّ عنوان القصيدة على بكاء الشّاعر على الحريّة، فيبيّن بأنّه موجود داخل وطنه إلا أنّه يعيش في منفى بسبب غياب الحريّة، يريد الصّمت كي يحافظ على حياته لكن مأساة واقعه الحزينة جعلته لا يتحكّم في كلماته و يعود هذا إلى الدّافع النّضالي الكامن في لا وعي الشّاعر، فهو عازم على قول الحق حتى لو كلفه الأمر الموت، مبيّنا طغيان العبوديّة حتى الحرف لم يسلم منها؛ يهدف الشّاعر من خلال هذه المعاني إلى أنّ الحرية قد ماتت و تم تشييعها على أيدي حكام متسلطين لأنّها في قاموسهم تعني تخريب و إرهاب و طعن في القوانين، إلا أنّه مؤمن ببعثها من جديد، فالحريّة بالنسبة له فكرة و الفكرة لا تموت.

4. الالتزام السّياسي في شعر"أحمد مطر"

1.4 القضية الفلسطينية:

ساهم "أحمد مطر" بكلمته في نصرة القضيّة الفلسطينيّة التي آمن بها، فجاء شعره لمشاركة إخوانه آلامهم، محقّقا بذلك وحدته العربيّة و دوره القومي "و قد عاش العربي كما عاش الأدب يناضل من أجل تلك الفكرة، و يعكس حقيقتها، فإلى جانب تعبيره عن أمله الخاص في حياته الحرة داخل حدود وطنه الصّغير، عبّر عن أمله العام في تخليص وطنه الكبير من ربقة الأجنبي... و على هذا فقد مزج بين المحن المختلفة فجعلها محنة واحدة"[20]، ذلك أنّ "الوطن العربي في نظره وحدة متماسكة، و كل لا يتجزأ"[21]، رافضا واقع الفلسطينيين، مما يدلّ على وعيه السّياسي بالقضيّة، يقول في قصيدة "بين يدي القدس":

يا قُدس يا سيّدتي.. معذرةً

فليسَ لي يدانْ

و ليسَ لي أسلحةٌ

و ليسَ لي ميدانْ

كلُّ الذي أملكُهُ لسانْ

و النطقُ يا سيّدتي أسعارُه باهضةٌ

و يقول:

جاءتْ إليكِ لجنةٌ[22]

الشّاعر في هذه القصيدة يقدّم اعتذارا لفلسطين، و يتحسّر لبعده عن ساحة الوغى، و عدم معاينته للجرائم التي ارتكبتها إسرائيل في حقّها، و يتمنى مساعدتها بأكثر من القول، و أكثر من التّشجيع على

مواصلة الكفاح المسلّح، بل بالمشاركة الفعليّة في الثّورة، فهو يرغب في حمل السّلاح لمواجهة العدو الصهيوني و لكنّه لا يملك أيدي و لا أسلحة و لا ميدان، بل كل الذي يملكه هو لسان، و إن كان نطق هذه الكلمات سيعرضه لملحمة من العذاب و حتى الموت؛ كما أشار إلى طريقة إيصال القضيّة الفلسطينيّة إلى الرأي العام العالمي و ذلك من خلال اللجان، إلا أنّ هذه الأخيرة مجرد حبر على ورق.

5. سياسة الحكام غير الرشيدة في اغتراب و نفي "أحمد مطر"

1.5 المنفى الاختياري:

و هو هجرة الكاتب نحو البلد العربي الكويت، ليؤكّد شراكة النّكبة، فيبيّن الشّاعر بأنّه يعيش في غربة قاتلة (منفى)، بسبب غياب الحرية، فوجوده مرتبط بوجودها و غيابها يغيّبه هو أيضا فيكون الحاضر شكلا الغائب مضمونا، و بالتالي العيش في منفى سرمدي، يقول في قصيدة "قبلة بوليسية":

لأنَّ أبْجديّتي
في رأيِ حامي عِزّتي
لا تحتوي غير حروفِ العلّهْ !
فحيثُ سرتُ مُخْبِرٌ
يُلقي عَلَيّ ظِلَّهْ
يَلصق بي كالنَّملَهْ
يبحثُ في حَقيبتي
يسبحُ في محبرتي
يطلعُ لي في الحُلم كلّ ليلهْ !

حتى إذا قَبّلتُ –يومًا- زوجتي

أشعُرُ أنَّ الدّولَهْ

قد وضَعَتْ لي مُخْبِرًا في القُبلَهْ[23]

خطاب الشّاعر في فضح أساليب السّلطة جريء جدا و هذا ما صرّح به من خلال قوله:(لأنَّ أبْجديّتي، لا تحتوي غير حروفِ العلّهْ!)، حيث أنّه كان يعي بأنّ ذلك سيجعله يدفع الثمن غاليا، و فعلا حصل ما كان يهابه حيث تم نفيه من وطنه العراق من طرف السّلطة الجائرة، التي رأت أنّه لابد من التّخلص منه لأنه يزعزع كيانها، و العبارات الدالة على المنفى قوله: (فحيثُ سرتُ مُخْبِرٌ، يبحث في حَقيبتي) دلالة على التّشريد و النفي الذي تعرّض له، و لم يرتاح الشّاعر حتى و هو في المنفى فهو محاصر و مراقب في جميع تحركاته و حتى في تصرفاته الشّخصية (تقبيل زوجته).

2.5 المنفى الخارجي:

عرف "أحمد مطر" بجرأته الخطابيّة اللاذعة، و التي تسببت في نفيه من وطنه العراق إلى لندن من طرف السّلطات العربية المتعسّفة، غير أنّ ذلك لم يدفعه للاستسلام، يقول في قصيدة "أحرقي في غربتي سفني":

أقصيتُ عن أهلي و عن وطني
و جَرعتُ كأسَ الذُّلِّ و المحنِ
و يقول:
أبحثُ في ديارِ السحرِ عن زَمَني
و أَردُّ نارَ القهْرِ عن زَهْري
و عن فَنَني
عَطَّلْتِ أحلامي[24]

تعجّ هذه القصيدة بالعديد من الألفاظ و العبارات الدالة على تيمة المنفى: "أقصيت عن أهلي و عن وطني"، يصوّر الشّاعر محنه و هو وحيد في المنفى، و سبب ذلك هو انحرافه عن الواقع المر المفروض عليه راغبا في حياة عادلة، و الأدهى أنّ لا أمل له في رجوعه، فاتّخذ من الشّعر وسيلة للإفصاح عمّا يجول في نفسه من آلام و شوق لأرضه و أحلامه المعطّلة، متحدّثا عن حظّه العاثر من الحياة "و ارتباط الشّعر بالسّياسة واضح، من خلال ما يعكسه الشّعر من انفعالات وجدانية للشّاعر، تعبّر عن أفكاره و انتماءاته السّياسية و مشاعره"[25]، فهو يوضّح ألمه، لأن ابتعاده عن أهله و وطنه و وجوده في المنفى وحيدا يتجرع مرارة الألم لوحده، و يتحمّل نزيف جراحه إلى أجل غير مسمى لبلسمتها، ليس بالأمر الهيّن.

نلاحظ بأنّ أغلب قوافي "أحمد مطر" جاءت مقيّدة للدلالة على محاولة الانطلاق و التّحرر، و أنّ الشّاعر قد مزج في قصائده بين الأصوات المجهورة و المهموسة، أما المهموسة (ت، ح، ف، هـ...) فقد عكست الحالة الشعوريّة للشّاعر، جاءت مناسبة لجو الحزن و الحرقة التي لازمته، أما الأصوات المجهورة (ب، ج، ن،...) التي تشدّ انتباه السّامع، عبّر من خلالها عن حالته النّفسية الانفعاليّة الرافضة للظلم، لأنّ علو الصّوت يجعل الكلمة مرادفة لأقوى سلاح، محاولا إيقاظ الضّمائر النّائمة و بعث الأمل في النّفوس الضّالة و الخاضعة، معبّرا عن تحسّره على حال أمته.

6. خاتمة:

من خلال دراستنا و تحليلنا لهذه القصائد الشّعرية نستخلص ما يلي:

- الشّعر السّياسي هو أحد الاستراتيجيات التي استعان بها "أحمد مطر" لمواجهة الهيمنة و المركزيّة، فكان سلاحه للدّفاع عن الشّعوب المضطهدة و توعيتها و دفعها إلى الثّورة على السّلطات الجائرة و رفض سياسة الظلم، و ترسيخ فكرة التّغيير، و وصف بشاعة الأساليب التي مارسها ساسة ظالمين في حقّ

الشّعب العراقي و الشّعوب المضطهدة، و يمتاز شعره بسخرية لاذعة جريئة و هادفة، يريد بها إصلاح الفساد المنتشر في المجتمع، حيث يستعملها تنفيسا و تعبيرا عن مرارته لما لها من قوة في التّأثير و لفت الانتباه و التّخفيف من شدة الحزن و رفع نسبة الأمل، لأنّها تتّسم بالفكاهة.

- نوّع الشاعر في تقنيات شعره فقد وظّف تقنية السّرد القصصي المشوّق و المفارقة التّصويرية المنبثقة عن الغضب و التّمرد، و ذلك لتصوير مأساة الشّعب العربي، مما أثرى التّجربة الشّعرية لدى الشّاعر.

- لمسنا في محتوى القصائد موقف الشّاعر الحادّ و الصّارم الرّافض لممارسات الحكام التّعسفيّة، غير مبال بمصيره، محاولا زعزعة كيان السلطة الجائرة، و إفشال خططها و أساليبها، بأسلوبه الرّاقي في الكتابة المتّسم بالوعي السّياسي و بفلسفة القوّة و الكفاح لأجل العيش في حريّة و سلام، مثبتا بذلك إيمانه بحتمية التّغيير و صموده الذي لا يقهر، و نضاله الذي لا يكسر، حتى يتحقّق العدل.

- اللغة المستعملة في قصائد "أحمد مطر" هي لغة انفعاليّة حادّة تميزها نبرة خطابيّة حماسيّة تعكس آلام و آمال الشّاعر، و لقد جاءت سلسة تارة و جريئة حادّة تارة أخرى، كما وظّف مجموعة من السّمات الجماليّة و الفنّية التي تؤكد حرصه على إخراج منظومات شعريّة تليق بالمقام المعبّر عنه، فجاءت أشعاره صادقة في تعبيرها عميقة في معانيها، متنوعة في صورها، مشحونة برسائل توعوية هادفة.

- تبنى الشاعر آلية التّلميح بدلا من التّصريح، لأنّه رأى في الكلام الضّمني وسيلة ناجعة للبوح عن ما يختلج في صدره من آلام و آمال، و نقد للأوضاع السائدة، و سخط على النّظام السياسي.

قائمة المراجع:

1. الأدب العربي المعاصر في سورية، سامي الكيلاني،(1950)، دار المعارف، مصر.
2. أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، أنيسة بركات، (1984)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
3. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (2004)، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.
4. تاريخ الشعر السياسي، أحمد الشايب، (1966)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
5. تقويل النص "تفكيك لشفرات النصوص الشعرية و السردية و النقدية"، سمير خليل، (1437هـ/ 2016م)، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان.
6. حركة التطور و التجديد في الشعر العراقي الحديث، عربية توفيق لازم، (1971)، مطبعة الإيمان، بغداد.
7. الشعر في إطار العصر الثوري، عزالدين إسماعيل،(1985م)، دار الحداثة، لبنان.
8. الغضب و التمرد في شعر أحمد مطر، محمد فؤاد، و ديب سلطان،(2004)، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الثامن، العدد الأول، ص02.
9. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة،(1981)، دار العلم للملايين، لبنان.

10. لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، (2012)، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر.
11. لغة الشعر السياسي في العصر الأموي: الكميت و الطرماح أنموذجين، أبو دلبوح جمال قبلان، (2013)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة جرش، الأردن.
12. المجموعة الشعرية، أحمد مطر، (2011م)، دار الحرية، لبنان.
13. مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلّد 46، العدد2..
14. مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية، المجلد 6، العدد الثاني.

الهوامش:

[1]سمير خليل، تقويل النص "تفكيك لشفرات النصوص الشعرية و السردية و النقدية"، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان،ط1، 1437هـ/ 2016م، ص122.

[2]أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1966، ص04.

[3]عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004، ص384.

[4]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، دار الحرية، لبنان، ط1، 2011م، ص53.

[5]أنيسة بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص61-62.

[6]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص52.

[7]محمد فؤاد، و ديب سلطان، الغضب و التمرد في شعر أحمد مطر، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الثامن، العدد الأول،2004، (فلسطين)، ص02.

[8]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص212.

[9]رؤى حيدر المومني، مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب و السياسة، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلّد 46، العدد2، 2019، ص369.

[10]عزالدين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري، دار الحداثة، لبنان، ط2، 1985م، ص86.

[11]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص194.

[12]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص70.

[13]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص.63

[14]حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 2012، ص190.

[15]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص321.

[16]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص.127

[17]عبد الحميد محمد علي زرؤم، مقاربات الخطاب السياسي عبر الأدب: دراسة تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية، المجلد6، العدد الثاني، ديسمبر 2015م، ص202.

[18]نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، لبنان، ط5، 1981، ص.242

[19]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص33.

[20]عربية توفيق لازم، حركة التطور و التجديد في الشعر العراقي الحديث، مطبعة الإيمان، بغداد، ط1، 1971، ص150.

[21]سامي الكيلاني، الأدب العربي المعاصر في سورية، دار المعارف، مصر، ط2، 1950، ص435.

[22]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص36.

[23]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص21.

[24]أحمد مطر، المجموعة الشعرية، مرجع سابق، ص88.

[25]أبو دلبوح جمال قبلان، لغة الشعر السياسي في العصر الأموي: الكميت و الطرماح أنموذجين، (ماجستير)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة جرش، الأردن، 2013، ص30-31.